المنتقم

من أسماء الله الحُسنى المنتقم ، وكلمة المنتقم إذا وصف بها إنسان من البشر فالأمر يختلف عما إذا كانت اسماً من أسماء الله ، لأن الله سبحانه وتعالى أسماؤه كلها حُسنى ، والدليل قول الله عز وجل :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وقد يتصف إنسان بالانتقام فلا نحبه ، لكن الله سبحانه وتعالى حينما يضع للظالم حداً ، فيوقفه عند حده ، ويحجزه عن أن يؤذي الآخرين فهذا المعنى يليق بكماله الله جل جلاله ، وهذا الاسم الجليل مشتق من الانتقام ، والنقمة هي العقوبة ، والله جل جلاله يعاقب ليؤدب ، ويؤدب ليسعد .

وقد ذكرت من قبل أن الشر المطلق لا وجود له في الكون بالنسبة لله سبحانه وتعالى ؛ لأن وجوده يتناقض مع وجود الله ، ولأن الله جل جلاله ذات كاملة ولله الأسماء الحُسنى ، ويمكن أن نصف هذه الذات الكاملة بالوجود والوحدانية والكمال ، فأي اسم اتصف الله به أو سمى نفسه به ، يجب أن نفهمه فهماً يليق بكمال الله .

والمنتقم من الانتقام ، والنقمة هي العقوبة والمنتقم الذي يعاقب من يشاء مهما علا ، أما الإنسان فلا يستطيع أن يعاقب من يشاء إذ لا يعاقب إلا من هو دونه ، ولا يستطيع أن يعاقب نداً أو مساوياً له ، وأما أن يعاقب من هو أعلى منه فهذا مستحيل ، لكن الله سبحانه وتعالى ينتقم ممن يشاء ؛ أي يعاقب من يشاء ، فإذا كنت مع القوي فأنت قوي ، مهما يكن عدوك كبيراً ، أو قوياً أو جباراً ، أو طاغياً ، أو متطاولاً ، فالله جل جلاله أكبر ينتقم منه ويوقفه عند حده ، ويحجزه عن أن يؤذي خلق الله عز وجل، وبهذا المعنى نفهم الانتقام.

فلو أنك في الدنيا رأيت إنساناً شارداً مجرماً عاتياً يقتل ويسرق ويفعل ما يحلو له ، فحينما يُلقى القبض عليه وتُحجز حريته يشعر الناس جميعاً بالراحة لأنه حُجز عن أن يؤذي خلق الله عز وجل ، فالانتقام في هذا المعنى يليق بكمال الله جل جلاله .

قال بعض العلماء : « المنتقم **في حق الله تعالى هو الذي يقصم ظهور الطغاة ويشدد العقوبة على العصاة ، والانتقام أشد من العقوبة العاجلة التي لا تمكن صاحبها من الإمعان في المعصية ، لكن المنتقم هو الذي يعاقب عقوبة تمنع المعاقب من أن يقع في المعصية** »وربنا عز وجل هو الطبيب .

وقد تجد إنساناً فتسأل كيف يصلح هذا الإنسان ، ويعود إلى الله ويستقيم على أمره ، فتجد أن الله جل جلاله عاقبه بعقاب أو ساق له شدةً تحار فيها العقول فإذا به يقف عند حده ، ويرتدع ويعود إلى ربه ويسلك الطريق القويم ، فالمنتقم كالمربي ، ينتقم ليؤدب ويؤدب ليسعد .

قالوا : المنتقم له معنى آخر ، « **هو الذي عُرفت عظمته فخشي العباد نقمته** » ، وتقريباً للمعنى ؛ دولة عظمى لديها سلاح نووي قد لا تستخدم هذا السلاح إطلاقاً ، لكنها مرهوبة الجانب ، فلا يفكر أحد أن يعتدي عليها ، فالله سبحانه وتعالى لأنه إذا أراد أن يعاقب عاقب ولا راد لإرادته :

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج : ١٢] .

فإذا عرف الإنسان عظمة الله عز وجل تأدب معه ، فكان تعظيم الله سبباً لطاعته ولخشية نقمته ، فالنقمة هي العقوبة ، ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي عاقبناهم ، ولكن أريد أن أوضح بعض المعاني ، الكلمة كما تعلمنا في اللغة هي كائن يولد وينمو ويهرم ويموت ، وهناك كلمات ميتة كثيرة جداً ، وأضرب لكم بعض الأمثلة ، قال النابغة الذبياني :

مقذوفةٌ بدخيس النحض بازلُها له صريفٌ صريفُ القعو بالمسد

هل فهمت شيئاً ؟ لا أعتقد ، فهذه كلمات لا ينتفع بها إلا المختصون .

وأحياناً ، للكلمة معنى رفيع ، وبعد حين تكتسب معنى آخر غير المعنى الذي وضعت له ، كنت أضرب على ذلك المثل التالي ، الجرثومة في اللغة أصل الشيء ، وقد وقف أبو تمام يمدح المعتصم يصفه بأنه جرثومة الدين والإسلام والحسب ، وهذا بيت في المديح ، والخليفة تقبَّل هذا البيت بنفس رضية ، أما كلمة جرثومة الآن فماذا تعني ؟ الشيء الشرير إذا قلنا لأحدهم أنت جرثومة فهي في هذا السياق كلمة ذمّ ، إذ تأخذ الكلمة معنى غير المعنى الذي وضعت له في أصل اللغة .

وكلمة استعمار ؛ من إعمار الأرض ، يعني أنت مثلاً إذا بنيت الأبنية ونصبت الجسور ، وأنشأت المدارس والمستشفيات وشققت الطرق فأنت مستعمر ، أما حينما جاءت قوة غاشمة واحتلت البلاد وسلبت ونهبت وقهرت وطغت وبغت فقد سُميت استعماراً ، فكلمة استعمار لها وقع سيِّء في النفوس .

وكلمة عصابة : تعني الجماعة ، قال عليه الصلاة والسلام قبيل معركة بدر : « **إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض** » ، أما إذا قلت الآن عصابة فهي تعني عصابة المجرمين أو عصابة قطاع طرق ، فلها معنى آخر ، فينبغي لك أن تفهم الكلمة كما هي في أصل اللغة ، فالمنتقم هو المعاقب .

ولعلنا نفهم المنتقم من البشر الذي يحقد والذي يعاقب ليتشفى ، فهذه المعاني التي نفهمها من كلام الناس اليوم لا علاقة لها بهذا الاسم إطلاقاً ، والمنتقم هو الذي يعاقب ، أو هو الذي يعاقب عقوبة تردع صاحبها عن أن يعصي الله عز وجل ، والمنتقم هو الذي يعاقب ليوقف الباغي والظالم عند حده ، والناس جميعاً يرتاحون إذا أُلقي القبض على مجرم عاتٍ باغٍ ووضع حد لإجرامه .

والمعنى الفرعي الذي ذكرته قبل قليل ، هو الذي عُرفت عظمته فخشي الناس نقمته ، ومن عرف رحمته رجا نعمته ، فإن عرفت عقوبته خشيت معصيته ، وإن عرفت رحمته رجوت نعمته .

وسيدنا عمر قال له بعض أصحاب رسول الله ﷺ : إن الناس خافوا شدتك وبطشك ، فبكى وقال : لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة لأخذوا عباءتي هذه ، ولكن هذا الأمر لا يناسبه إلا كما ترى .

وربنا عز وجل أحياناً يريك من رحمته الشيء الكثير ، فترتاح راحة كبرى ، وتطمح ، وتطمع ، وتسترخي أحياناً ، وتتساهل وتقصر ، ويريك من شدته فتخاف ، فهو يعالج الناس ، إن أقبلوا على رحمته فقصروا أو تساهلوا أراهم من شدته .

ويقول بعض العلماء إن المنتقم هو الذي يقصم ظهور العتاة ، وينكل بالجناة ، ويشدد العقاب على الطغاة .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[البقرة : ٢٥٨]

إنّه النمروذ فتروي الأخبار أنّ بعوضة دخلت إلى أنفه واستقرت في أعلى خيشومه فأحدثتْ من الألم ما لا يطاق ، والإنسان ضعيف ، فلو أن قناة الدمع سُدت لأصبحت حياته لا تطاق ، ولو أن المستقيم أصيب بالشلل أو أصيب بورم خبيث واستؤصل ، وإذا استؤصل فسوف تحوّل الفضلات إلى فتحة في جدار البطن وهذا شيء لا يُحتمل . . ولو أن هذه الجفون أطبقت بعضها على بعض ولم ترتفع إلا بيدك ، لغدا الأمر فجيعة ، وربنا عز وجل لديه آلاف الأدوية بل مئات ألوف الأدوية لعلاج العصاة والعتاة ، فإذا كنت في طاعته فأنت في ظله وحفظه ورحمته وفضله .

والمنتقم هو الذي يقصم ظهور العتاة ، وينكل بالجناة ، ويشدد العقاب على الطغاة ، ولكن بعد الإعذار والإنذار ، إن الله جلت حكمته لا يبطش من أول مرة ، بل يعطي فرصة ، وزمناً كي تتوب ، وترجع .

وبعد الإعذار والإنذار ، فالله يعطي تنبيهاً ، وهناك من يقود مركبته في أحد طرق دمشق ، فأصيب بأزمة قلبية فانكب على المقود وزوجته إلى جانبه فصرخت ، ومن غرائب المصادفات ، أو من توفيق الله عز وجل أن صديقه خلفه بسيارته ، فخرج من مركبته وحمله على المقعد الخلفي وأخذه إلى المشفى فأدخل إلى غرفة العناية المشددة ، وبعد يومين أو ثلاثة ، شعر بالخطر وقال : ائتوني بالمسجلة ، فقال : المحل الفلاني لأخي وليس لي لقد اغتصبته منه ، والبيت الفلاني لفلان ، والأرض الفلانية لفلان ، وكل الأراضي والبيوت والحوانيت التي اغتصبها اعترف بها على هذا الشريط ، وبعد يومين أو ثلاثة ، شعر أنه عاد إلى ما كان من عافية عليه وغدا طبيعيًا جداً ، فقال : أين الشريط ؟ ائتوني به ، فكسره وعاد إلى ما كان عليه ، وبعد ثمانية أشهر جاءت النوبة القاضية .

فالله عز وجل متى يبطش ؟ ومتى يهلك ؟ ومتى ينتقم ؟ بعدما يعذر وينذر ، وبعد الإعذار والإنذار وبعد التمكين والإمهال .

بعض العلماء يرى أن الانتقام نتيجة الكراهية ، كراهية وعقوبة لكنك إذا قلت إن الله يكره ، فالله لا يكره الإنسان لأنه إنسان بل يكره عمله فقط ، فلا يغضب منه ولا يغضب عليه ، ولا يكرهه بل يكره عمله ، وتقريباً للمعنى أضرب هذا المثل ، فالأب مع ابنه المنحرف يكره انحرافه وهو ابنه فإذا عاد إليه عاد إلى مكانته الطبيعية ، وإذاً فالكراهية لشيء والعقوبة عليه أيضاً كراهية وعقوبة ، إلا أن كراهية الله عز وجل لكماله ولحرصه ورحمته ، يكره العمل الذي يفضي بصاحبه إلى النار ، فانتقام الله تعالى من العصاة على ما كره منهم ليصلحهم

وليوصلهم إلى أبوابه وأبواب طاعته ، والكراهة في حق الله تعالى ذم الفاعل والحكم عليه بالعقوبة ، أما أن يكره الله عز وجل إنساناً فيتحمل مشقة منه ، فهذا لا يليق بالله أبداً ، إذ لا نفع ولا ضرر يصل إليه ولا شيء ينال منه ، إنه فوق كل شيء .

وإذا غضب الله عز وجل فلا يغضب لنفسه ولا يغضب على خلقه ، بل يغضب لأعمالهم التي سوف تشقيهم ، إنه غني عنهم ، ولو أن العباد جميعاً على أتقى قلب رجل واحد منهم ما زاد في ملك الله شيء .

وقيل : المنتقم هو الذي يشدد العقوبة على الظالمين ، ويسلط البلاء على المجرمين ، وهو الذي يرسل رسله بالآيات والإنذارات ، فمن لم ينتفع بالإنذارات سلط عليه العقوبات .

وشيء مألوف ؛ أن يقول لك الطبيب مثلاً لا تدخن فالدخان يسبب الأمراض الخبيثة ، وأمراض القلب والأوعية وأمراض الموات « الغرغرين » فإن لم تستجب لهذه النصيحة يداهمك المرض المزعج وتقع فريسة له .

وقال بعضهم : هو الذي يرسل رسله بالآيات والإنذارات ، فإن لم ينتفع بها الإنسان سلط عليه العقوبات والانتقامات .

الانتقام كمادة لغوية ؛ وردت في القرآن الكريم في آيات كثيرة قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [المائدة : ٩٥] .

ومن عاد ، واستمرأ المعصية ، وبالغ فيها ، ولم يرتدع ، فينتقم الله منه ، أي يعاقبه ، يعاقبه ليرحمه .

كما وردت كلمة انتقمنا منسوبة إلى الله جل جلاله في الأعراف :

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٦]

موسى رسول كريم جاء فرعونَ ليدعوه إلى رب كريم ، جاء بالبينات والمعجزات والآيات ، جاء لينهاه عن قتل أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم ، فما كان من فرعون الطاغية إلا أن جمع جنوده ولحق بموسى ومن معه ، قال :

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ [الشعراء : ٥٤ـ٥٥] .

تصور فئة قليلة خائفة وجلة وضعيفة مستضعفة ، وراءها فرعون بجبروته وقوته وطغيانه وجنوده ، والبحر أمامها ، وفرعون وراءها ، والهلاك محقق :

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء : ٦١ـ٦٢] .

ثمّ قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ [الشعراء : ٦٦] أي فرعون وقومه .

ولحكمة بالغة ، أنقذ الله جسده إلى الشاطىء ، لأن هذا الجسد لو لم يصل إلى الشاطىء لما صدق الناس أنه غرق ، وهو يدعي الألوهية ، لذلك :

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس : ٩٢] .

والذي سمعته أنه محنط في متحف مصر ، وأغلب الظن أن هذا المحنط في متحف مصر الفرعوني هو نفسه فرعون موسى ، لأن آثار الملح موجودة في فمه ، هكذا يقول بعض العلماء .

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾

[الأعراف : ١٣٦]

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الحجر : ٧٩] .

الأنبياء على صراط واضح مستقيم :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ فَقَالَ : « **أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا بْنَ الْخَطَّابِ ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً ، لا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي** »

[مسند الإمام أحمد]

وفي سورة الروم :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .

ويقول الله عز وجل :

﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧٣] .

كن جندياً لله وانتظر وعد الله بالنصر ، فلا يمكن لمن كان جندياً لله أن يُهزم ، وإذا هزم الإنسان فذلك يرجع إلى خلل في جنديته لله عز وجل ، وليس معنى أن يكون جندياً لله أن يحارب ، فالكلمة لها معنى واسع جداً ، فأنت إذا وظفت علمك وخبرتك في سبيل الله ، في

سبيل إحقاق الحق فأنت جندي لله ، أحياناً تقول لإنسان كبير نحن جنودك ، وليس هناك حرب ونحن أعوانك ، ونحن في خدمتك ، وطاقاتنا مرهونة لديك ، فكيف إذا كنت جندياً لله ، والمؤمن الصادق ، علمه وخبرته وماله ولسانه وقلمه واختصاصه وحرفته ومهنته ومكانته وميزاته وخصائصه كلها موظفة في سبيل الله ، ومعظم الناس يأكلون ويشربون ويعملون ويتجرون ويربحون إلا المؤمن ، كل هذه الأفعال الاعتيادية التي يفعلها كل الناس ولا أجر لهم ، ولكن إذا فعلها المؤمن تُحسب له أعمالاً صالحة لأنه يبتغي بها وجه الله .

قال تعالى :

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٤] .

وعندما يسهر الكفار ويخططون ويبذلون الجهود الكبيرة والجبارة ليطفئوا نور الله عز وجل ، وليضيقوا على المؤمنين ليضعفوا دوائر الحق ، فهذا جهد ووقت وطاقة وذكاء وعلم وإمكانات وأموال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾

[الأنفال : ٣٦]

ومما ينبغي على المؤمنين فهمه : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ ، لكن : ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ .

أضرب لكم مثلاً آخر ؛ شابان أزمعا على أن يتزوجا ، هل من السهل تأمين بيت ، لقد غدا حال الشاب أنّه لا يصل إلى مفتاح بيت

إلا بشق النفس ، وقد يكون بيتاً مؤلفاً من غرفة واحدة في أطراف المدينة البعيدة ، فإذا ملك هذا المفتاح فكأنه ملكَ مفتاح الجنة ، فالبيت على الهيكل يقول لك أخذناه ، هذا الشاب الذي يسعى للزواج يبذل جهداً كبيراً جداً ، فإذا أراد من الزواج المتعة واللذة فقط ، فهو يألم كما يألم أي شاب مؤمن ، ولكن المؤمن يرجو من الله في زواجه ما لا يرجوه غير المؤمن ، فالمؤمن يطمع في أن يرزقه الله ولداً صالحاً ينفع الناس من بعده ، ويطمع في زوجة يأخذ بيدها إلى الله ، وأن يؤسس عشاً إسلامياً نموذجياً لكل من يقتدي به ، وهذه هي النقطة الدقيقة ، فالأعمال الاعتيادية التي يفعلها معظم الناس مكرهين لا أجر لهم عليها عند الله عز وجل ، إلا أن المؤمن كل نشاطاته ، وكل طاقاته وإمكاناته موظفة في خدمة الحق .

وجاء في سورة الزخرف :

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الزخرف : ٢٥] .

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ :

أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ ترك قَتلى بدر ثلاثا ، ثم أتاهم ، فقام عليهم ، فناداهم ، فقال : يا أبا جهل بن هشام ، يا أميَّةَ ابن خَلَف ، يا عُتبةَ بن ربيعةَ ، يا شَيبة بن ربيعة ، أَليسَ قَد وجدتُم ما وعدَ ربكم حقّا ، فَإني قد وجدتُ ما وَعَدني رَبي حقّا ؟ فسمعَ عمرُ بن الخطَّاب قولَ النبيِّ ـ ﷺ ـ ، فقال : يا رسولَ الله ، كيف يَسمعونَ ؟ أو أَنَّى يجيبون ، وقد جَيَفُوا ؟ قال : والذي نَفسي بيدهِ ، ما أَنتُم بأسمعَ لما أقولُ منهم ، ولكنهم لا يَقْدرُونَ أن يُجيبوا ، ثم أمر بهم فسُحِبوا ، فأُلقوا في قَليب بدر [أخرجه مسلم] .

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٥] .

تلاحظون طغياناً وبغياً وعدواناً وكبراً وغطرسة ، وقد سمعتم قبل أسابيع كيف أن اليهود أرادوا في ليلة القدر أن ينفذوا عدواناً مجرماً على جنوب لبنان ، وكيف انتقم الله منهم ، إنهم مئة من نخبة الضباط لا يمكن أن يعوضوا في أقل من عشر سنين ، سمعوا ما في الصندوق الأسود فقال الطيار في الطيارة العليا المحلقة : إنني أسقط ولا أدري لم أسقط ؟! نزل فوق الطائرة السفلى التي ترافقها فاحترقتا ونزلت الطائرتان فوق مستعمرة فأهلكت هؤلاء . لقد أرادوا أن يعتدوا في ليلة القدر . ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ ، ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ ، ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

وفي آل عمران :

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران : ٣ـ٤] .

هناك نقطة دقيقة الدلالة ، يجب أن يكون في قلبك خوف من الله ، وتعظيم ، وحب له سبحانه في وقت واحد ، وهناك في الآثار : « قال يا رب : أي عبادي أحب إليك أحبه بحبك ؟ قال : أحب عبادي إلي تقي القلب ، نقي الكفين لا يأتي إلى أحد سوءاً ولا يمشي بالنميمة تزول الجبال ولا يزول ، أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى عبادي ، قال : يا رب إنك لتعلم أني أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلى عبادك ؟ قال : ذكرهم بآلائي وبلائي ونعمائي » .

فالدعوة إلى الله يجب أن تتحرك في هذه المتوازيات الثلاثة ، ويجب أن تبين للناس عظمة الله عز وجل ، من أجل أن تطيعه تعظيماً ، وينبغي لك أن ترى فضله عليك من أجل أن تحبه ، وينبغي لك أن ترى بطشه وشدته وانتقامه أحياناً من أجل أن تخاف منه ، ولا بد من أن يجتمع في قلب المؤمن الصادق تعظيم عن طريق الآيات ، ومحبة عن طريق النعم وخوف عن طريق العقوبات ، فالعقوبات لها معنى ، والنعم لها معنى والآيات لها معنى ، تعظمه وتحبه وتخاف منه ، والآية الكريمة :

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾

[الأنبياء : ٩٠]

رغباً راغبين ورهباً خائفين ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك .

ثم دقق في هذه الآية الكريمة في سورة إبراهيم :

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[إبراهيم: ٤٧].

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ، يرخي الحبل ، فيظن الإنسان أن أحداً لن يستطيع أن يوقفه عند حده ، يُشد الحبل فجأة فإذا هو في قبضة الله ، فمن هو العاقل ؟ ومن هو الموفق ؟ الذي يدخل في حساباته عظمة الله عز وجل ، وقوته وبطشه .

قال بعض العارفين : « **اسم المنتقم من أسماء الجلال والقهر** » . . أما الرحمن الرحيم المنعم المتفضل الحنان المنان ؛ فهذه أسماء الرحمة . . وأما المنتقم الجبار المتكبر القوي ؛ فهذه من أسماء الجلال والقهر .

وإن البحر جميل جداً إذا كان هادئاً ، فإذا هاج الموج فهو يمثل اسم الجبار ، والله عز وجل يتجلّى على شيء باسم الجمال فإذا هو يأخذ بالألباب ، ويتجلى على شيء آخر باسم القهر . . فانظر إلى الزلازل ، فهناك شيء مخيف رهيب :

﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر : ٧٤] .

بين الحين والحين هناك زلازل ، يقال : ثلاثة آلاف متشرد ، ألف وخمسمئة قتيل ، في أربع ثوان ، ست درجات على مقياس رختر ، انتهى كل شيء إلى قتل ودمار ، أبنية انهارت وأنابيب تفجرت وحرائق اشتعلت . ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ .

وفي الزمر :

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ [الزمر : ٣٧] .

والناس يستهزئون أحياناً بكلمة : إني سأشكوك إلى الله ، وحبذا لو تعرفون أبعاد هذه الكلمة ، ويقول لك أحدهم : سأشكوك إلى الله ولن أسامحك ، والله لو تعرف أبعاد هذه الكلمة لارتعدت فرائصك .

وهذه امرأة كانت تنتقد عمر بن الخطاب ، فاستدعاها في اليوم التالي وأعطاها مبلغاً كبيراً وكتبت له براءة من تقصيره ، فقال : ضعوها في كفني ، فأنا استسمحت منها .

والإنسان حينما يعرف الله عز وجل ويقف عند حدوده ، لا يؤذي أحداً من خلقه ، لأن الله منتقم ، ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٣٦] .

والإنسان حينما يكون جاهلاً يتطاول ويتجاوز حدوده ، وقد سمعت مئات الحوادث والحكايات حول هذا الموضوع ، فعندما يتجبر الإنسان ويتكبر ويتعالى ويتغطرس ، فالله جل جلاله لا بد من أن

يري الناس فيه يوماً ، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ .

ولو رأيت إنساناً يبيع ويشتري ويربح ملايين ويركب أفخر المركبات ويستطيل على خلق الله ، ويتحدى عظمة الله عز وجل ، ولم يعبأ بشيء من أفعاله وعشت أمداً طويلاً فلم تر فيه يوماً يسوؤه ، فتذكر أن الله عز وجل يقول :

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٤١] .

ولابد من أن ننتقم منهم ، وسواء أرأيت هذا أم لم تر ، وكفاك نصراً على عدوك أنه في معصية الله :

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان : ١٦] .

وهذه بلدة في الساحل الأطلسي اسمها أغادير كانت من أفسق البلدان في المغرب ، كلها نوادي عراة وخمور وزنى ، ترتكب فيها كل أنواع المعاصي ، وخلال عشرين أو ثلاثين ثانية جعلها الله رأساً على عقب . . ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ .

قال بعض العارفين : « **إن اسم المنتقم من أسماء الجلال والقهر** » ، ومن لم يعرف أسماء الجلال وأخلاق الكبير المتعال وقع في الضلال والنكال ، فإن عرفت أنه كريم رحيم فاعرف أنه منتقم شديد عظيم . . دققوا النظر في هذه الآية :

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾

[الحجر : ٤٩ـ٥٠]

زرت مرةً رجلاً في مرض شديد فقال لي : والله ـ ويكاد قلبه يعتصر آلاماً ـ أنا مصاب بمرضين ، فأدوية هذا المرض تؤذي الآخر

وأدوية الآخر تؤذي الأول ولا أدري ماذا أفعل .

وأحياناً تتلاحق المصائب من كل جانب وتحيط بالإنسان ، ولكن الخوف له وظيفة تربوية . قال الفضيل رحمه الله :

« **من خاف الله دله الخوف على كل خير** » .

ونحن مؤمنون بأن هناك خوفاً مقدساً ، فأروع أنواع الخوف أن تخاف من الله ، والنبي عليه الصلاة والسلام سيد الرسل ، أرسل خادماً بحاجة فغاب طويلاً ، فلما عاد هذا الخادم ، قال له : « **لولا القصاص لأوجعتك بهذا السواك** » ، وهل السواك يؤلم الطفل ؟ لكنّ الإنسان بنيان الله ، وملعون من هدم بنيان الله .

وأنت كإنسان كيف تتخلق بكمالات الله عز وجل ، ولا سيما باسم المنتقم ، والمؤمن الكامل ينتقم من أعداء الله تعالى ، فلا يجاملهم ولا يعينهم على معصية ، ولا يغطي انحرافهم ، ولا يباركه ويقف أمامهم بجرأة ويتعالى عليهم .

وفي الآية التالية يصف الله عز وجل المؤمنين قال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

فلا تكن عوناً لإنسان منحرف ، فمن أعان ظالماً سلطه الله عليه ومن شرك في دم حرام بشطر كلمة ، جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه « **آيس من رحمة الله** » .

تخلّق بكمالات الله ، فهذا إنسان منحرف ، فاسق فاجر ، لا تبجله ولا تعظمه ، ولا تقل فيه كلاماً لست مقتنعاً به .

إلهي! أنت المنتقم من أعدائك الظالمين ، القاهر بسطوتك المجرمين ، قد انتقمت من النمرود وفرعون وهامان ومحقت أهل الظلم والطغيان .

فإذا خفت من الله وصلت إلى كل خير ، وأعظم خوف أن تخاف الله ، ورأس الحكمة مخافة الله ، والإيمان قيد الفتك ، ولا يفتك مؤمن .

تصور هرة ينتقم الله لها!

حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **دَخَلَتِ امْرَأَةُ النَّارَ مِنْ جَرَّاءِ هِرَّةٍ لَهَا ـ أَوْ هِرٍّ ـ رَبَطَتْهَا فَلا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تُرَمْرِمُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ هَزْلاً** » . [صحيح مسلم] .

* * *